

## فصلية اللسان المبين (بحوث في الادب العربي)

محكمة عليها

السنة الثالثة، المسلسل الجديد، الرقم الخامس، خريف ١٣٩٠

آليات التفكير اللغوية عند أبي تمام\*

(في ضوء المستويات الأربعة لعلم الدلالة)

الدكتور حميد رضا مير حاجي  
أستاذ مساعد في جامعة علامه طباطبائي  
الدكتور جلال مرامي  
أستاذ مساعد في جامعة علامه طباطبائي  
مالك عبيدي  
طالب مرحلة الدكتوراه في جامعة علامه طباطبائي

### الملخص

حديثاً في هذه المقالة عن أبي تمام ومدى اضطراره بأمر الدلالة للمفردات والجمل، واهتمامه بأنماط الاستخدام الوظيفي للكلمات، بحيث يصبح للكلمة من خلاله أدق ما يمكن أن يكون لها من تأثير و دلالات لم تكن لتفيدها إن كانت مسوقة على نحو آخر من أساليب الأداء و أنظمة التأليف. وهذا ما فعله الطائي في مواطن كثيرة من شعره، مما جعلنا نستعرض في هذه الدراسة مجموعة من آلياته وتتناولها بالدرس الوظيفي - الآلياتي، إلا أننا لسنا - في دراستنا هذه - بصدد الحديث عن خصائص شعره عامة، كما هو المعتاد في مثل هذه الدراسات. ولكن حديثنا سيكون عن خصائص شعره اللسانيّة والآليات اللغويّة التي استخدمها للدلالة على مبادئه الفكرية والعقلية وتصويرها تصويراً دلاليّاً متعمقاً؛ إذ إن لكل شاعر أسلوباً خاصاً يميّز به وسمات تفكيرية وتعبيرية يتسم بها، وليست هذه الأساليب والسمات إلا أفكاراً أو تأملات يسكبها الشاعر في قالب الصور الشعريّة التي يولدها. إذن سيكون محور بحثنا وتركيزنا في هذه الدراسة على هذه الناحية من شعرا أبي تمام وإلقاء نظرة دلالية - آلياتيّة على مقاطع من شعره في إطار أربعة مستويات لهذا الأمر وهي المستوى الصوتي، المستوى الصّرفي، المستوى النحوي أو التركيب، ومستوى المفردات أو المستوى المعجمي، أو لعلنا نتمكن بذلك من الحصول على مفاتيح وتلميحات من نحو أدائه الآلياتي وتتمكّن من تبين زوايا من جماليات شعره في حوزة الدراسات اللغويّة هذه.

الكلمات الدليلية

أبو تمام، اللغة، علم الدلالة، الاستخدام الآلياتي.

\* - تاريخ الوصول: ١٣٩٠/٠٢/١٨ تاريخ القبول: ١٣٩٠/٠٦/٢٦

عنوان بريد كاتب الإلكتروني: Mirhaji-sayyed@yahoo.com

## ۱- مقدمة

أبو تمام- و كما يعرف الجميع- شاعر كبير يحتلّ العقل و التفكير عنده مكاناً مرموقاً و يطغى العقل على جميع قواه فى غالبية الصور الشعرية التى يولدها و يقوم بإنتاجها، إذ يولى العقل اهتماماً بالغاً و يراه عامل فخر رفيعاً لا يتسنى إلا لافرادٍ قليلين، إذ يدل على هذا المعنى بقوله :

وليس يُجلى الكرب رمحٌ مسدّد إذا هو لم يُؤنس برأى مُسدّد

(الخطيب التبريزى، د. ت، ج ۲: ۲۷).

ومعناه أن الرماح العوالى والسيوف المواضى ليستا تُجديان نفعاً، مالم تستندا إلى رأى متين و محكم يُسدّدُهُما و يصبّهُما نحو العدوّ العاشم ... و يُقيم كذلك علاقةً واسعةً بين العقل و التفكير و معظم ما يخالج صدره و يطرق أبواب ذهنه من مفاهيم و صور، لأنّه كان بذالة يمتاز بذكاء حادّ نادر و ألمعية و ثقافة واسعةٍ جعلها جراً تطوافه فى البلاد و اكتسابه للتجارب العقلية ذات القيمة الكبرى. وقد ظهرت آثار تلك الثقافة فى شعره، فكثرت المعانى الجديدة و الأدلة العقلية و اتمام المنطق فى التفكير والتأليف (حنّا الفاخورى، ۱۳۸۰: ۴۹۴). إذن هو من الشعراء الذين يستقصون المعانى لدرجة إبهامها و استغلاقها و عدم فهمها ممّا جعل المذاهب الأدبية و النقدية تتشابه حوله و تختلف فى تقويمه، ففريق يُنصره و يُعلى من قدره و قدره، و يتغاضى عن مساوئه و سقطاته و آخر يناهضه و يقاومه و يجسّم أخطائه و يغفل جيده و عالىّ فنه لا لشيء سوى الحسد أو العصبية (محمد بركات أبو على، ۱۹۸۲: ۹)؛ فمن المتعصّبين ضده ابن الأعرابى الذى قال -حين أنشد شعراً لأبى تمام-: إن كان هذا شعراً فما قائلته العرب باطل (أبو بكر الصولى، ۱۹۸۰: ۲۴۴).

وأما من المتعصّبين له فابن المعتز الذى يقول فى المفاضلة بين البحترى و الطائى: «وذلك البحترى لا يكاد يغلظ لفظه، إنّما ألفاظه كالعسل حلاوة، فأما أن يشقّ غبار الطائى فى الحدق فى المعانى و المحاسن فهيهات بل يغرق فى بحره، على أن للبحترى المعانى الغزيرة، ولكن أكثرها مأخوذ من أبى تمام مسروق من شعره». (ابن المعتز، ۱۹۳۵: ۲۸۶)؛ وأما من بين هؤلاء النقاد المختلفى الآراء يوجد من حكموا حكماً صالحاً فنياً بشأنه، نابغاً عن عمق فكرة و دقة فهم لفنون الشعر و أساليبه، منهم أبو العباس المبرد الذى عرّف فنّ أبى تمام فى شاعريته و فهم طريق المفاضلة بينه و بين البحترى على أساس من المقارنة الموضوعية العلمية السليمة، و يكشف لنا -من خلال تقييمه بهذا الشأن- عن مقدراته فى النقد المنصف و كفاءته العلمية فيه، و ذلك فى جوابه على سؤال عبد الله بن الحسن بن سعدان عندما سأله عن أبى تمام و البحترى و أيهما أشعر؟ فقال المبرد: لأبى تمام استخراجات لطيفة و معانٍ طريفة لا يقول مثلها البحترى، و هو صحيح الخاطر حسن الانتزاع، و شعر البحترى أحسن أستواء، و أبو تمام

يقول النادر والبارد... وما أشبهه أباتمام إلّا بغائص يخرج الدرّ والمُخشلية<sup>١</sup> (الصّولى، ۱۹۸۰: ۹۶)؛ و هذامن أثنم النصوص الموجودة وأرقاها فناً فى التراث، فى التفاضل بين فننى الشعارين فى التعبير، ولعل قول البحرى نفسه بشأن هذا التقويم أظرف ممّا قاله المبرد، وهو أهدى إلى سبيل الشعارين من حيث تبين أنما طهما الأدائية للمعنى، وهو قوله عندما سئل عن أبى تمام و نفسه: نجّده خير من جىدى و ردىى خير من ردىئه! (الصّولى، ۱۹۸۰: ۷۶، وابن المعتز، ۱۹۳۹: ۲۸۶).

وأمّا خطة البحث فى هذه الدراسة ولبنتها الأولى والأساسية فيها فستكون التّطرق إلى المواضيع التى أراد فيها الطائى أن يثير فكرة لدى مخاطبه و يستفز بها مشاعره، وذلك عبر استخدام الآليات الصرفية و النحوية و المعجمية و المؤثرات الصوتية و التنغيمية التى اختارها لبيان تلك المفاهيم و الرؤى الفكرية و بلورتها فى قالب العمل الشعرى، وهى من مستويات علم الدلالة التى يُستعان بها على تحليل النصوص الأدبية، يُعلم من خلالها المعانى المستحدثة التى قد يحدثها كلامٌ و يعجز عنها كلامٌ آخر، و هذا هو وظيفة علم الدلالة المندرج فى غضون هذه المستويات الأربعة التى اخترناها لدراسة شعر أبى تمام لنظركيف كانت حصيلة جهده فى اختيار هذه الآليات و هل كان صاحب إنجاز فيه أم إخفاق؟ ولنبحث كذلك عن الأبعاد الدلالية للغة، و منهجه فى التفكير الدلالي، و نعى به أنه كيف أستطاع أن يُبلور فكرته فى قالب دلاليّ رصين من قوالب اللغة السيمنتيكية، ليبرع عنها بأحسن تعبير؛ لأن لغة الطبيعية بعدها الدلاليّ الذى تتميز به و تفارق به غيرهما من أنواع العلامات. و هذا هو قابلية العلامات اللغوية للدخول فى علاقات مكوّنة جُملاً، ثمّ قابليتها بعد ذلك للتنامى بالجمل لكى تكون نصّاً. إن لغة الطبيعية أجرومية (انتظاماً، هندسةً، تركيباً) خاصّة تفتقدها اللغات السيميوطيقية (العلامية/العلاماتية)... وهذا معناه أن لغة الطبيعية بعدها السيماناظيقى الذى تستعيره أنظمة العلامات الأخرى... (نصر حامد أبوزيد، ۲۰۰۸: ۸۶).

وأمّا الأهمية التى كان متسمّاً بها هذا البحث و التى دفعنا نحو إنجاز هذا العمل فهو أن أحدًا من قبل لم يكن على ما رأينا فى الكتب المطبوعة بهذا الشأن مهتمّاً بالجانب الدلالي لشعر شاعر على وجه التطبيق الوظيفى هكذا، ولم نر من بين المؤلفات الموجودة فى هذا المجال جهوداً منصّبة على نحو هذا العمل الآليّاتى فى حوزة الأعمال الشعرية لشاعرنا، و إنما الأعمال التى تمّت بهذا الشأن تكون محصورة فى دائرة التحليل التنظيرى العامّ لهذه المستويات و دراسة الجذور التاريخية لها، من دون عرضها و تطبيقها على منصّة أعمال الشعراء، أو تكون فى حالة أبعد من ذلك مرتكزة على التحقيق بشأن طائفة عامة من أقوال الشعراء المختلفين و تحليل آيات من القرآن على ضوء هذه المستويات من دون تضييق دائرة

البحث في إطار شاعر معين؛ ولذلك يبدو أن تحقيقنا من هذا المنطلق يكون هو الفريد المحدد من نوعه، المقصور على ناحية البحث عن الأبعاد الدلالية لدى شاعر محدّد اخترناه لهذا التحليل وها هو أهتمام الطائي. وإنما يأخذ التحقيق في أهمية أكثر عندما علمنا أن شاعرنا هذا على ما سبق يكون من الشعراء التفكييريين الذين يتحرّون الحقائق المكونة في باطن الأشياء و يتمسكون، أو يحاولون التمسك بالأساليب التعبيرية الدلالية التي تكون أكثر توافقاً و انسجاماً مع المنظور الشعري الذي يريد إلقاءه، ولذا فيكون من المهمّ عندنا أن نفضّل إلى دقائق هذه التعبيرات التي أبرزت نفسها في قالب تلك الآليات التي انتقاها الطائي لبيان فكره.

وأما الأسلوب أو الطريقة التي سنتخذها لتطبيق هذه الدراسة والتي سنزعم من خلالها الوصول إلى مواضع هذا التوظيف الآليّ لديه فهي أن نختار بيتاً من أبياته ذات الدلالة النحويّة أو الصوتيّة أو... ثمّ نقوم بعد شرحه بالبحث عمّا فيه من دلالات النحو و الصرف و اللغّة و الموسيقى و آليّاتها التي سخّرها الطائي للدلالة على مضمونه الفكري في ذلك البيت، والتي تتفوق على نظائرها من الآليات الأخرى في قدرتها على تمثيل التعبير، فإذا سلّمنا مثلاً بتفوق آليّة «إذا» الشرطيّة الزمنيّة على نظيرتها «إن» فنستدلّ بالأدلة التي تسوقنا نحو ذلك التفويق، و سنبيّن بواسطتها مكانة تلك الآليّة و دورها الدلاليّ الفعّال في تجسيم ذلك المعنى، المكانة التي تعدّهما مثيلاتها. وعلى هذا الدرب سنسير في تحليلنا لأبيات أبي تمام. و الجدير بالذكر أننا لنسنا في هذه الدراسة على صدد توسيع البحث و تعميم أبحاثه إلى حيث يضمّ عدداً كبيراً من أبيات ديوانه، إن هذامتنع مستحيل، وإن هذه الدراسة لا تتسع لأن نكتفّ عدد الأبيات المدروسة فيها كما، فالغرض المنشود فيها هو دراسة عدد محدود من أبياته، والأهمّ من ذلك أن تكون دراسة هذه الأبيات القليلة مفتاحاً للبحوث الآتية، أو تلميحاً و خطوة نموذجيّة لمن يريد خوض البحث موسّعاً في مثل هذه المجالات.

وأما الأسئلة التي سنكون على صدد البحث عن إجابات لها من خلال دراستنا هذه فهي أولاً: هل كان لأبي تمام كشاعر تفكييري نهجاً أو أنماطاً برمجيّة دلالية في بعض مناحيه الأدائيّة من خلال توظيف الكلمات و الأساليب النحويّة في الموقع الدلالي الذي يليق بها؟ وثانياً: إذا كنا عددناه شاعرًا معبراً تعبيراً أوظيفياً عن فكرته بمعونة هذه الأساليب، أكان ناجحاً في إبراز هذه الأفكار في حلية هذه الأساليب اللسانية المتوفرة لديه، أم لم يكن ذانجاح فيها؟ والثالث: هل هناك من مآخذ أو ملاحظات على شعره فيما يتعلق بدراسة أبياته على مدار هذه الآليات، وهل هناك من مواضع في شعره كان باستطاعته أن يستمدّ فيها بآليّة أقوى ممّا استخدمها في بيته من خلال الأبيات القلائل التي سنستعرضها في هذا المجال؟ وهذ هي مجمل الأسئلة التي سنكون على صدد الإجابة عنها في هذه الدراسة الوجيزة، مع التنويه بأن النتيجة التي سنتوصّل إليه تكون صالحة للحكم بها على مجموعة الأبيات التي اخترناها في

هذه الدراسة، أو تعميمها إلى سائر الأبيات المشابهة لها المتناثرة في ديوانه.

## ٢- المستويات الدلالية الأربعة

قبل الورود في موضوع المستويات الدلالية لا بد أن نتكلم باختصار عن علم الدلالة؛ تعريفه وموضوعه. وأما تعريفه فهو العلم الذي يدرس المعنى. وموضوعه فهو كل شيء يقوم بدور العلامة أو الرمز، ولكن تركيزه على اللغة من بين أنظمة الرموز. ونحن باعتبار أننا نريد أن نحدد معنى الحدث الكلامي لا بد أن نهتم بهذه الجوانب والمستويات التي سُميت بالمستويات الدلالية الأربعة (أحمد مختار عمر، ١٩٨٨: ١١-١٥).

٢-١- مستوى الأصوات: (phonology)؛ ويدرس هذا المستوى أصوات اللغة من ناحية طبيعتها الصوتية مادة خاماً تدخل في تشكيل أبنية اللفظ، ويدرس كذلك وظيفة بعض الأصوات من مخارج الحروف و صغاتها و الإيقاعات المتفاوتة التي تفرزها بطبيعة أدائها والنطق بها. في الأبنية و التراكيب، ويدخل هذا كله تحت عنوان ما يُعرف بمستوى الأصوات أو علم وظائف الأصوات (phonology) وهو دراسة وظيفة الصوت اللغوية في الكلام، عن طريق زيادة في الكلمة مثل العناصر الصرفية، ومن ناحية تقسيم الكلمة إلى مقاطع صوتية، وصفات كل مقطع، أو عن طريق أدائه صوتياً، و ما ينتج عن ذلك من نبر و تنغيم و وقفات و طبقة الصوت، و كذا كل المؤشرات الصوتية الأخرى التي تشارك بنوع في الدلالة؛ و على هذا نصّ أبو الفتح عثمان بن جني عندما رأى أن هناك أصواتاً أقوى في المعنى من غيرها حيث قال في خصائصه: و كذلك لها [أي الكلمات] دلالة تميّزها عن قسيميها في معظم الأصوات مثل: «قضم» و «خضم»؛ ف«قضم» تستخدم في اليابس و «خضم» في الرطب، و ذلك لقوة القاف و ضعف الخاء، فجعلوا الحرف الأقوى للفعل الأقوى و الحرف الأضعف للفعل الأضعف (ابن جني، ١٩٨٩: ٦٥)؛ واستشهد كذلك ابن جني على قوله هذا بلفظتي «النضح» و «النضح» والنضح للماء و نحوه والنضح أقوى من النضح من قولهم: نضح عليه الماء و نضح البيت بالماء نضحاً وهو الرش؛ و عين نضاًخة: فوارة بالماء و غيث نضاًخ: غزير و أرسلت السماء نضاًخاً و أصابتهم نضخة من مطر (الزمخشري، ٢٠٠١: ٧٥٧)؛ و قال سبحانه و تعالى في سورة الرحمان: فيهما عينان نضاًختان (الرحمان: ٦٦)؛ فجعلوا الحاء لرقبتها للماء الضعيف و الخاء لغلظتها لما هو أقوى منه. (ابن جني، ١٩٨٩: ١٥٨)؛ فالإيكم الآن الأبيات التي سيتم عرضها و دراستها في إطار هذا المضمار:

يقول في مدح أبي دُلف القاسم بن عيسى العجلي و هو يصف جوده مبالغاً فيه:

تكاد مغانيه تهش عراضها      فتركبُ من شوق إلى كل ركب

( الخطيب التبريزي، د.ت، ج ١: ٢٠٤ )

والعِراضُ: جمع عَرَصَة، وهى ساحة الدار، و استعار لها «الهَشَاشَة» التى هى البشر والأريحية؛ يقول: من شهوته لإعطاء المال و بذله، تكاد عراضُ مغانيه تسير إلى من يسير إليها، طالباً نيله. والذى يُعجبني فيه -من الناحية الموسيقية اللفظية فى الكلمة الواحدة - هو قوله فى «تهش» التى برزت فيها فنائيته وقدرته على الإبداع الموسيقى، إذ هى مؤلفة من حرفين يؤدبان من منطلق أداءهما الموسيقى، شحنة إيقاعية مُثيرة قلماً تفيدها مثيلاتها من الأحرف الأخرى ، و هما حرفا «الهَاء» و«الشين»، حيث إن الهاء من أحرف الحلق وهويتصف بصفتى «الرخاوة» و «الانفتاح» من باب صفات الحروف الموسيقية - الأدوات ، والرخاوة هى ضدّ الشدّة و هى بمعنى «السهولة و اللين» و من خلالها يجرى الهواء أو الصوت بجرى و سلاسة فى أقصى الحلق (موسى بلدة، ١٣٦٩: ٥١ و٥٢)؛ والانفتاح هى ضدّ الإطباق وهى تعنى الانبساط والاتساع فى الصوت خلال أداء الحرف من مخرجه (نفس المصدر، ١٣٦٩: ٥٥)؛ وأما «الشين» فهى متّصفة أيضاً بالصفتين الماضيتين ، بالإضافة إلى صفة «التفشى» التى هى بمعنى الانتشار و التفرق للهواء فى جوف الفم ، أثناء النطق بهذا الحرف ، و هى مختصة بالشين وحدها من بين جميع حروف الهجاء (نفس المصدر : ٦٠)؛ و كلا الحرفين -الشين و الهاء -مهموسٌ كذلك و «الهمس» أيضاً من منظور الأداء الموسيقى والإنتاج الصوتى تعنى الهدوء والتستر و الاستخفاء أثناء النطق بالحرف (نفس المصدر: ٥٠)؛ فوفقاً لما بيننا من دلالات أحرف هذه الكلمة فى توليد الموسيقى الدالة على المعنى ، يتبين لنا مدى قوّة هذه الكلمة و إيحائها فى إفادة المعنى الذى تتضمّنه، وهوانّ عطايا هذا الممدوح لا تقف عند الحدّ الذى يسخو فيه الممدوح للطالبيين والعفاة، ولا تقتصر كذلك هذه العطايا على قيام الممدوح وحده فقط بفعل الاحسان، بل تتجاوزه إلى ما يجاور هذا الممدوح و يتعلّق به من أماكن اقامته و الأرض التى تطوّها ، فهذه المساكن و المغانى قد ترث الجود أيضاً من يد هذا الممدوح، فتصبح رغبةً أيضاً فى عطاء السائلين، لكنّها لا تبقى ثابتة ذات قرار فى مكانها، بل هى من قلّة صبرها على رؤية إملاق المقلّين و حوائج الطالبيين، لا تنتظر حتى يطرق المحتاجون أبوابها، بل هى تسبقهم و تسير اليهم حشوداً مكثفة بسير حيثٍ مُسرّع ذى اتساع وشمول، وهذا التصرف من قبل هذه المغانى دائمٌ لا انقطاع فيه و لأبطء. و كلّ هذه المعانى التى عددناها لها لا تُستفاد إلا من دلالات أحرف هذه الكلمة الإيقاعية، وكان بإمكانه التعويض عن هذه اللفظة بفعل «يزف» ثلاً، بنفس الدلالة و الإيقاع، كما فى قوله تعالى فى سورة الصافات المباركة، الآية ٩٤ حيث يقول فيه تعالى : \*فأقبلوا إليه يزفون\* أى: يُسرعون (الراغب الإصفهاني، ٢٠٠٧: ٢١٨)؛ ولكنّه عمد إلى ترجيح هذه اللفظة لما فى «الهش» من معانٍ أحرّ ، منها التكرّر والتساقط من قولهم :هشّ الشىء:دقّ و جفّ حتى أصبح قابلاً للكسر و هشّ العود: تكسّر (ابراهيم مصطفى و آخرون، ١٩٨٩: ٨٩٧)؛ و شىءٌ

هشّ: رخو ليين و فرش هشّ: غير صلود، وإنه لهشّ المكسر: سهل الجانب إذا سُئل (الزمخشري، ٢٠٠١: ٧٩٧)؛ والهشاشة بالفتح: الارتياح والخفة للمعروف، وقد هشّ به يهشّ بالفتح هشاشة: إذا خفّ إليه و ارتاح له، ورجل هشّ بشّ (محمد بن أبي بكر الرازي، ٢٠٠٦: ٥٦٩)؛ و«الزّف» لا تفيد أيّاً من هذه المعاني، وإنّما تقف دلالته عند حدّ الإسراع و المبادرة، ولذلك تبدو هذه اللفظة [تهشّ] من أروع الألفاظ التي انتقاها الطائي لهذا المعنى و أوفرها إيحاءً.

ويقول في قصيدة يمدح بها آل عبد العزيز بقزوين، ويصف فيها الإبل التي تحمله اليهم:

تجشّمته بالداعريّة تعتلى بها رتكان أو ذميلٌ تواعده

(الخطيب التبريزي، د.ت، ج ٤: ٤٢٩)

والرتكان هو عدوٌّ في مقاربة خطو و إبل و نعام رواتك، وقد رتكَ البعير يرتك رتكاناً، وهي مشية فيها اهتزاز و قد يستعمل في غير الإبل، وهي في الإبل أكثر (الزمخشري، ٢٠٠١: ٢٥٨). إذن ما أراد الطائي في وصف إبله هذه هو أن هذه الإبل التي تحمله اليهم سريعة المشي خفيفة الجري جداً، ولا يتوقّف ركبها عن الاهتزاز لكثرة ما بهامن خفة و نشاط و ترجرج أثناء جريها، ولم ير الطائي للدلالة على هذا المعنى من الهزة و الاضطراب أحسن من أن يختار المصدر الذي يأتي في أصل بناءه للدلالة على التقلّب و الاضطراب و الحركة مثل جولان، وغليان، و سيّلان، وقيضان وغيرها... ومن دلالاتها أيضاً، الدلالة على حالات المرض والعلّة كالوهجان والغثيان و اللهبان؛ وهي أيضاً كلّها حالات اضطراب و تقلّب مرضى يصيب الإنسان، فنلاحظ أن هذا الوزن يُحاكي الحدث و يعبر عنه تعبيراً دقيقاً، فهو يحمل في مضمونه دلالة الحركة الشديدة (عكاشة، ٢٠٠٥: ٦٩)؛ وعلى هذا فلما أراد الطائي أن يعبر عن شدة جريها وهزتها فيها، مال إلى اختيار اللفظة التي تصوّر لنا هذه الحركة و الاضطراب بوضوح أكثر جداً بتوالي ثلاث فتحات على أحرفها الأُول، والفتحة هي أخفّ الحركات، وهي أكثرها شيوعاً و انتشاراً في الأسلوب القرآني، حسب الإحصائية التي قام بها الدكتور إبراهيم أنيس والتي وجد فيها أن هذه الحركة هي الأكثر شيوعاً فيه، لأنّ به [أي بهذا الأسلوب القرآني] حوالي ١٠٧ أفعال ماضيات صحيحات تكون صيغتها «فعل» بثلاث فتحات، وحوالي ٢٤ فعلاً من صيغة «فعل»، بكسر العين (أنيس، ١٩٨٥: ٥٢). و يؤكد هذا قبله سيبويه بقرون كذلك أن صيغة «فعل» بثلاث فتحات هي أكثر وروداً في الكلام من غيرها، و ذلك بقوله: «وإنما كان فعل كذلك لأنه أكثر في الكلام، فصار فيه ضربان، ألا ترى أن فعل فيما تعدى أكثر من فعل، وهي فيما لا يتعدى أكثر، نحو قعد وجلس». (سيبويه، ١٩٧٧: ١٠٤). و ذلك أن الفتحة صوت ليين

قصيرمتسع، وهي للدلالة على مواضع الخفة والهيجان والنشاط في الكلام أنسب، فالخفة في النطق واللسان، تأتي للخفة في الحركة والعمل، وقد سرت الخفة و الحركية و السلاسة من الفتحة إلى سير الإبل، وهذا ما فعله الطائي في كلامه هذا عن سير هذه الإبل، واختيار اللفظة التي وقعت هي بفتحاتها، ثم تلاقيها بألفٍ ممدودة بعدها، أكثر مناسبة مع الخفة التي تنتجها هذه الناقه في سيرها إليهم. أفلسيت هذه كلها تدل على مدى هذه السرعة والامتداد في السير و تصوّرها لنا بأجلى تصوير؟! فكان لفظه «الرتكان» هي بنفسها ابلٌ تسير سيراً حثيثاً. ويقول كذلك في قوله في وصف ناقه سريعة السير:

أَوْ مَا تَرَاهَا - مَا تَرَاهَا - هِرَّةٌ      تَشَأَى الْعِيُونَ تَعَجْرُفًا وَ ذَمِيلًا

(الخطيب التبريزي، د.ت: ٦٩)

والذي نبهته فيه هو قوله في كلمة «تعجرفاً»، إذ إنها كلمةٌ عديمة الرونق والبهاء والطلاوة اللفظية، بل إنها كلمة ثقيلة جافة لدى السمع، غير متمسقة التركيب الأحرفي لاحتوائها على مجموعة من الصفات الصوتية متعارضة، ما بين مهجورة ومهموسة ومستعلية ومستفلة، فهي كلمة ذات تنافر و ثقل و غلظٍ بين أحرفها، ولكن الطائي في هذا المجال رأى الموقفَ رأى الموقفَ دائرأفنى وصف نشاط الناقه و قوتها في السير، فانتقى لها (لهذه القوة والصلابة في السير) كلمةً غليظةً صلبة التركيب الأحرفي ليُدل بها على تلك الهزة و الصلابة والقوة الغاشمة التي تحظى بها تلك الناقه في جريها أحسن دلالة، كأن بها خرقاً و قلةً مُبالاة لسرعتها... وفي البيت نفسه ومن منظور النحو ودلالاته التنغيمية الصوتية أيضاً قد أحدث مفاجأةً نحويةً موسيقيةً بنيته السكتَ أو الوقفة القصيرة على جملة «ماتراها» الأولى من باب التحفيز والحث على عمل الرؤية عن طريق الاستفهام التحضيضي المُفخَم، ثم البدء أو الاستئناف بجملة «ماتراها» الثانية على سبيل التعجيزو النفي التخبيبي للمخاطب، فلانتبه إلى دور هذه الجملة المكررة الثانية في النحو الا بأخذ النظر إلى الملاحظات النغمية الموسيقية التي يجب أن نُعملها في سياق العبارة عند قراءتها، ولولا هذه الميزة الموسيقية النبرية أو التنغيمية لديه في سياق تركيب نحويّ لمأفاد البيت بمؤداه الدلالي الذي توخاه فيه الشاعر، وبهذه الدلالة الثنائية التخليطية بين النحو و الموسيقى ارتقى الطائي بدلالة جملته الثانية «ماتراها» عن مجرد كونها تأكيداً لفظياً للجملة الأولى إلى كونها جملة مكررة لإفادة ذلك التعجيزو العدول المضموني التقابلي عن الحث و التشويق إلى الكف والتخيب، و سائر الدلالات الراقية التي تمت الإشارة إليها، والتي كان لا يوحى بها إلا النبر و تنغيم الجُمْل.

٢-٢ - مستوى الصّرف: (morphology): وهو المستوى الذي يدرس الصيغة اللغوية و التغييرات و التطوّرات التي تعترض بنيتها و أثر هذه الصيغة في دلالة الكلمات، و يدرس كذلك الأثر الذي تحدثه زيادة بعض الوحدات الصرفية في أصل بنية الكلمة، مثل اللواحق



التصريفية (inflectional ending) كعلامات الجمع و ياء النسب و... وكذلك السوابق التصريفية كأحرف المضارعة و همزة التعديّة وميم المفعول و...؛ وهذه الإضافات والتغييرات التي تطرأ على صيغة الكلمة و تحوّلها إلى صيغ أخرى، تكون لها دلالاتها الخاصّة بها، وهي التي تشارك في الدلالة ويتأثر المعنى باختلافها و مقدار الزيادة في الكلمة، كما أن الأذن تسمع كلمة «أناقلتم» في قوله تعالى في سورة التوبة الآية: ٣٨\* يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثأقلتم إلى الأرض\* فيتصوّر خيال ذلك الجسم المتشاكل، يرفعه الرافعون في جهد، فيسقط من أيديهم في ثقل، إن في هذه الكلمة طناً بل أطناً من الأثقال، ولو أنك قلت «تناقلتم» بدلها، لخفّ الجرس ولضاع الأثر المنشود و توارت الصورة المطلوبة التي رسمها هذا اللفظ واستقلّ برسمها (قطب، ١٩٩٠، ٤٠)؛ وهذا انزياح منه سبحانه وتعالى في مادّة الصرف، ولم يعمد سبحانه إلى مثل هذا الانزياح الصرفي و العدول عن أصل الصيغة إلاّ لخلق هذا المعنى الجديد من الكسّل والتراجع القتاليّ - والله أعلم -؛ ومعنى «أناقلتم» أي: تباطأتم و تقاعستم، وضمّن معنى الميل و الإخلاق فعُدّي بآلى (الزمخشري، ٢٠٠٨، ج ٢: ٢٠٣)؛ وهكذا نرى بوضوح مدى تأثير هذه الصيغة الصرفية و التغيير الذي طرأ على أصل صيغتها في باب التفاعل في خلق معنى جديد، لم تكن لتفيدة اللفظة إن كانت على وضعها السابق. فلم تتمّ كلّ هذه التحولات الصرفية - الصيغية إلاّ لتجعل الكلمة صالحة لقبول معنى جديد و إفادة جديدة. وهذا من محصول الدلالة الصرفية هذه، والتي سنتحدث عنه.

وأما أمثلة هذا الباب :

يقول في مستهل قصيدته في فتح عمورية ، مفتتحاً كلامه :

السيف أصدق أنباءً من الكتب      في حدّه الحدّ بين الجدّ و اللّعب

(الخطيب التبريزي، د.ت: ٤٠)

والذي يستلفت النظر و يثير الأهتمام في هذا البيت -من المنظور الصرفي و دلالاته - و الذي لم يأت به أحدٌ من الشراح و الباحثين على ذكر منه ولا أشار إليه أحدٌ من الدارسين لشعراي تمام، هو أنه قد جاء بلفظ «الكتب» جمعاً ولكنّه أطلق لف «السيف» مفرداً، فقال : السيف أصدق أنباءً من الكتب، لا الكتاب؛ ولم يقل السيوف كذلك، فمواجه هذه دلاليّاً لا يمكن تعليل وجه الدلالة في ذلك إلاّ من المنظور الصرفي و المساهمة التي تبديها في تحسين وجه المعنى، إذ يبدو أنه لم يأت بلفظ السيف مفرداً ولا بلفظ الكتاب مجموعاً إلاّ ليفهمنا أن السيف الواحد بحقيقة جنسه -وهي حقيقة واحدة يكفي للغلبة على جمّ غير من كتب المنجمين و الفلكيين الذين رأوا أن الفتح لا يقع إلاّ في وقت إدراك التين والعنب،

ويكفي كذلك السيفُ وحيداً لاطلاق كلمة الفصل و إبطال ما فى كتبهم العديدة من تنبؤات و تكهنات بشأن تحكيم الأبراج الثابته و المنقلبة فى طوابع الناس و الأحداث و... وأراد بذلك أن يُتَحَفَّنَا -فضلاً عن هذا بفائدة أخرى وهى أن السيف لما كانت حقيقته فى القطع والمضاء و تبيين الحق واحدة، لم يَحْتَج أن يكون أعداداً كثيرة، وإن كانت هناك سيوف كثيرة تحارب وتسمى لتبيين الحق، إلا أنها جميعاً تتوحد تحت ظلال حقيقة السيف الواحدة، وهى حقيقة الضرب بالحق و الصرامة فى تعيين الحدّ الفاصل بين الحقّ و الباطل، ولكن كتب المنجمين لما كانت مرتبة على أسس من الخرافة و المزاعم و الأقوال المتذبذبة، لم تكن آراؤهم فيها واحدة فكانوا فيها يختلفون، ولذلك تعددت كتبهم و لم تستقر على رأى واحد، ومن هذا الجمع و ذاك الانفراد نفهم بجلاء كون السيف ذا أحقية فى جلاء الشك والريب، وكون الكتب رغم كثرتها ذات اضطراب و تزلزل فى صدق مزاعمها وصحة الاستناد إليها، وهذه دلالة حسنة بهذا الجمع و ذلك الانفراد على هذا المعنى المختبئ، والدلالة الصرفية الثانية التى فيه - وهى محور نقاش طويل بين بعض شراحه - هى قوله فى إطلاق تمييز النسبة مجموعاً فى قوله «أنباء» و إن كان بعض الباحثين من أمثال الدكتور «منير سلطان» قد رجح قراءة «إنباء» بالكسر على رواية الفتح بقوله: «وأنا أفضل قراءة «إنباء» على «أنباء»؛ فالإنباء فيه استعدادٌ وقصدٌ وتعليمٌ و تشخيصٌ وتأديب، ما ليس فى «أنباء» (سلطان، ٢٠٠٥: ٢٠٩)؛ إلا أن المسألة تبدو على خلاف ذلك فيما يبدو للباحث على ما سيبين فيما يلى؛ فقد قال فيه المعري: وقوله: «أصدق أنباء» كلام قد دخله ترجيح وهو من مواطن التمييز، وإذا كان المميّز ليس من نفس المميّز جاز أن يقع واحداً وجمعاً، مثل قوله [هذا]، ولو كان فى غير الشعر لجاز أن يُقال «نبأ» و كذلك: أخوك أخدمُ الناس عبداً، ألا ترى أن العبد غير الأخ؟ فإن قلت: أخوك أعظم الناس رأساً، امتنع أن يكون الجمع فى موضع المميّز الواحد؛ ثم يقول ابن المستوفى فى كلام المعري هذا: إنما امتنع ذلك لأنه ليس له إلا الرأس واحد! الخطيب التبريزى، د.ت: ٤٠)؛ وظاهر كلام ابن المستوفى يفيد بأن التمييز و إن كان من نفس المميّز، يجوز أن يكون جمعاً فيقال مثلاً: زيد أطولُ الناس أصابع، و إنما امتنع الجمع فى مثال أبى العلاء لأن الإنسان لا يكون له إلا رأس واحد؛ وأمّا فضلاً عن هذا كله، وخلافاً لما جاء فى كتاب الدكتور منير سلطان فى ترجيح رواية الانفراد بالكسر «إنباء» على رواية الجمع بالفتح «أنباء»، فإن للباحث رؤية أخرى إلى كون هذا التمييز مجموعاً و هى رؤية صريفة ولها إفادة غير ما يفيد المميّز المفرد، وهو على شاكلة قوله تعالى فى سورة الأعراف المباركة الآية ١٦٠ حيث يقول جلّ وعلا: وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطاً أمماً، حيث جاء بتمييز العدد المركب مجموعاً، و وجهه أن يكون مفرداً، فهلاً قيل اثنتى عشر سبطاً؟ فقال فيه الزمخشري: قلت: لو قيل ذلك لم يكن تحقيقاً للغرض، لأن المراد: و قطعناهم اثنتى عشرة قبيلة، وكلّ

قبيلة أسباطٍ لاسبط، فوضع أسباطاً موضع قبيلة، والأسباط: أولاد الولد، جمع سبطٍ و كانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولداً من ولد يعقوب عليه السلام (الزمخشري، ٢٠٠٨: ١٢٦)؛ فوجه مجيئ التمييز في بيت أبي تمام مجموعاً - على ما أراه من المنظور الدلالي الصرفي - هو أن يكون تنميماً للمعنى الذي أشرنا إليه سابقاً في وجه أفراد السيف وجمع الكتب، إذ لو كان يقول: أصدق نبأ، لكان تمييزاً عادياً مألوفاً لا يفيدُ غرضاً إضافياً، ولكنه لمّا عدل عنه وجاء به مجموعاً أراد أن يقول إن السيف لديه أخبارٌ كثيرة و أنباءٌ متواتراتٌ ممّا لا يُعدُّ ولا يُحصى و هي رغم كثرتها أصدق ممّا لدى كتب المنجمين من الأقاويل الزائفة و الأخبار الباطلة، فأخبار السيف - و ليس يُنبئ بخبر واحدٍ بل أخبارٌ كثيرة - رغم كثرتها، كلها جيّدة صحيحة الاستناد، بخلاف أخبار الكتب التي عادة ما تخالطها الرّداء و التلفيق، و هذا ممّا أستفیده من وجه هذا العدول للصيغة الصرفية لكلمة وإحلال المجموع محلّ المفرد، فلم يكن مُنزاحاً و لم يُرد تخطياً لقواعد النحو و لا الصّرف إلاّ لبلّغنا هذا المعنى اللطيف الذي قد لا يكون اللفظ المفرد يفيد، وبهذا يُردُّ على مقال الدكتور سلطان في ترجيحه «الإنباء» بالافراد على «الأنباء» مجموعاً، لأنّه لم يأخذ بالحسبان الايحاء الصرفي الذي تأتي به الكلمة إن كانت مجموعة، فهذا ما يُنظر فيه منه.

و يقول كذلك في وصف حريق عمورية وفتحها مادحاً إسحاق محمّد بن هرون الرشيد المعتصم بالله :

رمى بك الله بُرجيها فهدمها      ولورمى بك غير الله لم يُصب

(الخطيب التبريزي، د.ت: ٥٩)

والشاهد الذي نبحت عنه في هذا البيت، ليكون آيةً بلاغيةً على الاستخدام الآليّ لأحد موازين الصّرف هو قوله في «برجيها» حيث جاء بها مثناةً ولم يوضّح لنا التبريزي -على ما قاله الدكتور منير سلطان: «ما المقصود بالبرجين؟ هل كان لعمورية برجان؟ أم أن أنقرة و عمورية هما برجا الروم المنيعان؟ ثمّ نراه يعيد الضمير في «هدم» على المفردة المؤنثة، أهي مدينة عمورية؟ أم أنه يقصد هدم البرجين برجاً برجاً على تأنيث البرج؟ لا أدري» ( منير سلطان، ٢٠٠٥: ٢٨٦)؛ و أقول إنني أرى في هذا اللفظ دلالةً صرفيةً أخرى جاءت لزيادة العبارة رونقاً في البلاغة و تماماً للمعنى، وهو أن هذه التثنية -على ما يظهر عندي - لم تتأتّ إلاّ للدلالة على التكرير و التعديد كما هو شائعٌ مُستساغٌ في كلام العرب، ومنها سُمعت مصادراً مثناةً نحو: «لبيك وسعديك و حنانيك و..»، و هي مثناةٌ يُراد بها التكرير لاحتققة التثنية (الغلاييني، ٢٠٠٦: ٤٣١)؛ فيحسنُ تعليل التثنية في هذا الموضع للدلالة على هذا التكرير و التضعيف، لأن عمورية ليست بوحدتها - بل إن كل أرض و بلاد - تتمتع بحصون و

بروج كثيرة، لابرج أو برجين أو أكثر من ذلك بقليل فقط، و لذلك دلّ الطائي بلفظته المشناة هذه على كلّ قصور هذه الأرض و حصونها المنيعه التي هدمها المعتصم و جعلها قاعاً صفضاً، والذي يقوى المعنى في ذلك، مجيئه بفعل «الهدم» مضعفاً من باب التفعيل بتكرير الدال، و هي لم تأت إلا لزيادة التوكيد و المعنى، بزيادة أحرف على المبني، و بمثلها قال الله تعالى مرتين في سورة يوسف \_ عليه السلام \_ : ﴿ وَقَطَعْنَا أَيْدِيَهُمْ ﴾ \* و غلقت الأبواب ﴿ الآيتين ٣١ و ٢٣؛ للدلالة على شدة القطع و غلق الأبواب بشدة و إحكام بيد امرأة العزيز، وإلا لو لم يكن القطع والاعلاق ضاربين في الشدة لَمَا جاء - سبحانه - بفعلهما مضعفاً لقال - تعالى - قَطَعَ و غَلَقَ بالتخفيف، والإتيان بأصل المادة أولى، ومثاله في التنية المراد بها التضعيف قوله تعالى في سورة الملك الآية ٤؛ حيث يقول تعالى: ﴿ ثم ارجع البصر كرتين ﴾ \* إذ قال فيه الزمخشري: معنى التنية التكرير بكثرة، كقولك: لبيك وسعديك، تريد إجابات كثيرة بعضها في أتر بعض (الزمخشري، ٢٠٠٨، ج ٤: ٤٣٧)؛ فلا أرى الكلمة - حقيقةً - مسوقة على نحو المثني إلا للدلالة على شمولية هذا الخراب وانتشار هذا الدمار الذي لحق ببروجهم، وهذا ما لم يهتد إليه الدكتور سلطان، ولم يرد له ذكر في كتاب التبريزي، فهو جدير بالانتباه.. وأما استخدام الضمير في «هدمها» مفرداً مؤنثاً، فتؤيد بقوة القول الذي سبق، لأنه - والحالة هذه - قد أعاد الضمير على معنى مافى التنية من جمع التفسير، أى: البروج، وهو يعامل معاملة المفرد المؤنث، كأنه قال: رمى بك الله بروجها الكثيرة فهدمها، وإلا لما كان لتأنيث الضمير المتصل بالفعل وجه، و بهذه الإعادة التانيئية للضمير يتحقق ما بيننا من وجه دلالة «البرجين» مثناة.

٢-٣ - مستوى النحو والتركيب: (syntax)؛ وهو الذي يختص بتنظيم الكلمات في قالب جمل أو مجموعات كلامية، و يبين النحو كذلك وظائف الكلمات في الجمل، الأثر الدلالي لاختلاف موقع الكلمة في تركيبين مختلفين، و كذلك اختلاف الكلمة في تركيبين، نحو: «ضرب محمد علياً»، «وضرب علياً محمد»، و مثل: «نجح محمد» و «رسب محمد»؛ فاختلاف ترتيب الكلمة واختلاف الكلمتين يُخلّفان أثراً في دلالة الجملة؛ كما يقوم النحو بتعيين الفاعل في الجملة بوضع مفرداتها مرتبة في مثل: «ضرب موسى عيسى»، حيث لا توجد قرينة معنوية ولا لفظية تعين الفاعل، فاستوجب هذا وضع المفردات في ترتيبها المعهود من قواعد: الفعل ثم الفاعل ثم المفعول، لئلا يلتبس المعنى، وكذلك قول القائل: «ما أحسن زيد» و لم يُبين الاعراب في ذلك، لما علمنا غرضه منه، إذ يحتمل أن يريد به التعجب من حسنه، أو يريد الاستفهام عن أى شيء منه أحسن، و يحتمل أن يريد به الإخبار بنفى الإحسان عنه، ولو بين الاعراب في ذلك فقال: «ما أحسن زيداً»، و «ما أحسن زيد»، و «ما أحسن زيداً» ففهمنا مغزى كلامه، ولا نفر دكل قسم من هذه الأقسام

الثلاثة بما يعرف به من الاعراب، فوجب حينئذٍ بذلك معرفة النحو، إذا كان ضابطاً لمعاني الكلام، حافظاً لها من الاختلاف. (ابن الأثير، ١٩٩٠: ٣٠).

وأما أمثلة هذا الباب فهي كما يلي:

يقول في بآئته الشهيرة في فتح عمورية ووصفه لجودة أرضها و كيفية تصويرها لهذه الجودة وبيان فضلها على سائر المكان، حيث يقول فيه:

حتى إذا مخض الله السنين لها مخض البخيلة كانت زبدة الحقب

(خطيب تبريزي، د.ت: ٤٩)

وهذا من أبداع استعاراته وأقصاها فكراً، وكل هذه الغرابة و التعقيد لم يتأت إلا لأن الفكرة التي يريد أن يوصلها للمخاطب هي أيضاً فكرة عميقة و أصيلة عند الشاعر و ذات غرابة و إعجاب لديه، و لذلك استخدم للتعبير عنها و اختزن في بيته للدلالة عليها، طائفة من الأساليب اللغوية والبيانية التي تيسرت له، في حوزة المؤثرات النحوية والمعجمية، إذ إن فيه مؤشرتين نحويتين وهما اللتان تدرسان تحت إطار المستوى النحوي (syntax) و مؤشرة لغوية واحدة -على ما بيدولي- وهي التي تتناول بالبحث في مضمار المستوى المعجمي أو مستوى المفردات و إحياءاتها (lexicography) والتي سنأتى على ذكرها في قسم الدراسات المعجمية من كلامنا. وأما إبداعه في المستوى النحوي فهو قوله في استخدام «إذا» أداة للشرط في هذا الموضوع بدلاً من نظيراتها، و كذا قوله في استخدام المفعول المطلق المبين للنوع في قوله «مخض البخيلة»؛ وأخيراً استخدامه لجمع التوكسير ذي الكثرة بدل القلة في قوله «حقب»، حيث لم يقل «أحقاب» على القلة، و في كل منها لنا أحاديث، سنأتى على ذكرها بالترتيب لتكون فاتحة للباب في تحليل النماذج الأصلية. و أما تحليل البيت - آلياتاً نحوية - فهي أن هذه الأرض برأيه هي من أخصب الأرض و أشرفها، بل هي أشرفها و أجلها قدراً عنده، ولذلك جاء بهذا التشبيه الغريب والبعد الاستعاري المعجب، لينقل الينا بكثافة شديدة بُعد شرف هذا المكان الذي يتحدث عنه، حيث شبه فيه السنين المتماديه والقرون المتطاولة على مر الدهور، بلبن يُمخض، لكن ليس مخضاً طبيعياً مألوفاً، بل إن صاحبه تمخضه و تستمر في مخضه، حتى إذا بلغت غاية المخض و أكملت الخض، حصلت على كل ما يحتويها هذا اللبن من الزبدة، و ليست هذه الزبدة الخاصة المستخلصة سوى هذه الأرض التي يتحدث عنها في بيته هذا و ما سلفه من آياتٍ أخرى، إذ هي عصاراة أماكن الأرض وأجمل بقاعها، وقد اختبر الله تعالى أماكن الأرض على مر العصور و محصها تحصيماً شديداً حتى استخرج من بطن هذه الدهور هذا المكان الشريف ذا النبل، كما أن الزبدة المستحصلة في التشبيه تكون حصيلة جهد الماخضة غاية جهد، فقد بلغ الطائي بتشبيهه هذا - غاية الفخامة

في بيان هذا المعنى، ولكنه لم يكتفِ بهذا الوجه الاستعاري المعجب فحسب، بل مال إلى جانبه إلى استخدام المفعول المطلق و تقييد المصدر المستعار بتقييد حسن من باب المفعول المطلق المبين للنوع و هو قوله في «مخض البخيلة»، اذلو قال بدله: مخضاً شديداً أو مخضاً كثيراً أو مستمراً أو مخض الماخضة أو غيرها، لما اكتملت الاستعارة و لا بلغت أقاصيها في القوة و شدة التأثير، إذ يعلم - جيداً - كل من عاش مع العشائر أو قضى فترة من عمره بينهم، أن المرأة العشائرية حريصة جداً على تكثيف المخض و استخلاص كل الزبدة الموجودة في اللبن، فتوَصِل عملها حتى لا تَبْقَى منها شيئاً ولا تندر، و بهذا الأسلوب النحوي الذي اختاره لبيان هذا المعنى - أعنى المفعول المطلق بالإضافة - أكسبَ بيته جزالة و فخامة تركيب فريد تين لم تكونا تتواجدان في البيت إذ لو كان مسوقاً على نحو آخر من أساليب الأداء في المفعول المطلق، و بإضافة المصدر هذا إلى البخيلة قد فعل كل ما شاء من إبداع في هذا الباب. وأما المؤثرة النحوية الثانية لديه فهي استخدام «إذا» التي هي للشرط الكثير الوقوع، والأصل فيها أن يكون الشرط مقطوعاً بوقوعه كما تقول: «إذا زالت الشمس آتيتك» و غلب لفظ الماضي مع «إذا» لكونه أقرب إلى القطع بالوقوع نظراً إلى اللفظ (الخطيب القزويني، ٢٠٠٨: ٦٩)؛ قال الله تعالى: فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تُصِبهُم سيئة يطير و ايموسى ومن معه\* {الأعراف: ١٣١}؛ حيث جَمَعَ «إذا» مع الحسنة بالفعل الماضي، لأنَّ الحسنة منه تعالى حصولها مقطوع به، و أتى في جانب السيئة ب«إن» التي لا يكون فيها الشرط مقطوعاً بوقوعه، لأن السيئة نادرة بالنسبة إلى الحسنة المطلقة، لذلك نُكِّرت هي و عُرِّفت الحسنة، و أطلق الفعل مع «إن» مضارعاً للدلالة على هذا الأمر، لأن المضارع ليس متحقق الوقوع كما يكون في الماضي، و هكذا شأن أبي تمام في بيته باستخدام «إذا» بدل «إن» أو «لو» و إطلاق الفعل بعدها ماضياً للدلالة على أمرين: أولهما أن اختبار الله سبحانه و تعالى لأماكن الدهر قد وقع كثيراً و أنه تعالى قد فعل هذا التمحيص و الاختبار سنين عدداً، و تفضيل هذا المكان على سائرهم يكون نتيجة ابتلاء كثير مكثف من عنده تعالى و هذا ما نفهمه من «إذا» و دلالتها على الكثرة و الشيع في الوقوع، و أمّا الأمر الثاني فهو أن هذا الأمر محتوم و أن هذا الرأي الذي أصدره بالنسبة إلى هذا المكان ثابت متحقق، و هذا هو الذي يُفهم من إطلاق الفعل ماضياً مع «إذا»، لأن الماضي قد حَدَث بالفعل كما مر.

وأخيراً لديناما لحظّة على بيته، وهو أنه لو استخدم بدلاً لتركيب الإضافي «مخض البخيلة» تركيب «مخضاً بخيلاً» على وجهه الوصفي و صَحَّحَ معه وزن البيت وإيقاعه العروضي، لكانت العبارة أرقى دلالةً وأدلّ مقاماً في تأدية المعنى المقصود، لأن المخض لو وُصِفَ نفسه بالبخل فقيل: مخضاً بخيلاً لا تنقلت صفة البخل من الماخضة إلى المخض نفسه، وكان المعنى أن تواصلت عملية الخض آلياً، واستمرَّ الوطْبُ تلقائياً في حركته وما

توقف عن الحركة والارتجاج، لأنه والحالة هذه حريصٌ بنفسه على تكثيف الخضّ و مواصلة المخض، سواءً أكانت هناك ماخضة أم لم تكن، فيتحرّك تلقائياً؛ وهذا ما كنا نفهمه من وجه العبارة لو كان الطائي قد عدّى صفة البخل من البخيلة إلى المخض نفسه فقال: «مخضاً شديداً»، لكن بتعديل الوزن على أيّ وجهٍ كما قلنا!

يقول في قصيدة عمورية كذلك، وفي وصف حريقها :

ضوءٌ من النار والظلماءُ عاكفةٌ      وظلمة من دخان في ضحىٍ شحِبِ

(الخطيب التبريزي، ج: ١، ٥٤)

وأما ما يطالعنا في هذا البيت من منظور دلالات النحو و آلياته فهو ما نراه في وجوب حذفٍ للخبر وإقامة الحال مقامه في قوليه في شطري البيت «ضوء من النار والظلماء عاكفةٌ»، و «ظلمة من دخان في ضحىٍ شحِبِ»؛ ولم أرَ كذلك في جميع كتب الشروح - قديماً وحديثاً - إشارة إلى هذا الوجه الاعرابي الدلالي الذي بنى عليه كلامه في هذا الموضع، و به تزدادُ عبارته رونقاً، وأسلوبه متانةً و رصانةً سبكِ، فأرى التعليل في نحو هذا مثلما جاء في كتب النحو من كون حذف الخبر وجوباً، وهو الموضع الذي يكون فيه المبتدأ مصدراً أو اسم تفضيل مضافاً إلى مصدر صريح أو مؤول، وبعد هما حال لاتصلح أن تكون خبراً لذلك المبتدأ، وإنما يصلح أن تسدّ مسدّه في الدلالة عليه في المعنى، كقولنا: «ضربى العبد مُسيئاً» وكذا الحديث الشريف: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجدٌ»؛ والتقدير فيهما: ضربى العبد حاصل عند إساءته، وأقرب كون العبد من ربه حاصل في حال سجوده، ولا فرق في هذا أن تكون فيه الحال مفردة أو جملة كما مثلنا، وقد اجتمعت الحالان في قول الشاعر مفردة ومركبةً:

خيرٌ أقترابي من المولى حليفَ رضىً      و شرٌّ بُعدى عنه وهو غضبان

فالحال في الأمثلة المتقدمه دالة على الخبر المحذوف وهو حاصل أو مافى تقديره سادة مسدّه (الغلابي، ٢٠٠٦، ج ٢ : ٣٥٤ و ٣٥٥)؛ فالمجال في بيت الطائي - على ما استنبطت نفس المجال والموقف نفسه، ولا يسوغ تعليل البيت على غيره من أوجه الدلالة الإعرابية، و تقدير المعنى عليه: ضوء من النار حاصل أو مكوّن أو مستقرّ حال كون الظلام فاشياً مستتباً، يعنى أن هذه النيران التي أضرمتها هذه الحرب المدمرة تخلق من شدة اندلاعها نيراناً راسطاً مضيئاً و الليل وظلامه مستقرّان لم ينقشعا بعد! فنهارٌ من هذه النيران واقعٌ وإن كان الزمن ليلاً، وكذلك الأمر في الشطر الثاني، فإن دخان هذه النيران المتكاثف و غبارها المتراكم الذي يغشى الناس يخلق من شدة كثافته - في وسط الضحى الشحِب ليلاً داجياً مدلهماً، فليلٌ مظلمٌ من كثافة هذه الأدخنة ناتجٌ والموقف نهاراً! وفي هذه الوجهة الإعرابية والدلالة التي

تحملها معها، إشارة قويّة متينة على حتميّة وقوع هذا الليل في قلب النهار، وذاك النهار في وسط الظلام، وفيها كذلك زيادة دلالة على تثبيت الوقوع الذي قلناه، وشدة الامتزاج والتعاقب الذي يكون بين النهار والليل في موقفٍ زمنيٍّ واحدٍ، سواءً أكان الطائيّ نفسه على وعى بهذا التوجيه النحوي - الإعرابي الدلالي أم لا. ولكن من أين نفهم هذه الحتميّة للوقوع ونفطن لها؟ فطنتنا لها ناتجة من وجه هذه الحال التي سدت مسدّ الخبر، لأن الخبر لو كان محذوفاً لمولواً عليه بمعونة الحال لكان أشدّ وقعاً في نفس السامع، لأن الخبر والحالة هذه قد يكون الحصول المطلق الذي يترتب على المبتدأ إن ثبت حصوله. فحينما نقول «ضربى العبد مسيئاً» وأعرضنا عن التصريح بلفظ الخبر قد اعتبرنا الخبر (الذي هو الحصول أو الوقوع) مسيطراً على أجواء الكلام فطرحناه عن سياق العبارة، ثم إننا بمبادرتنا إلى لفظة «مسيئاً» التي هي الجزء المترتب على الضرب، أردنا أن نسترعى انتباه السامع قبل ذكر الخبر إلى أهميّة الحال التي ستصيها إن كان واقعاً عن الضرب؛ فيلأ الأهميّة الأولى والقصوى للحال بدل الخبر لهذا الأمر. ولأن العبارة على هذا الغرار توحى بلاشكّ عندي بدلالة الشرط أو يشمّ منهاراتحة الشرط. فلاشكّ بأن تقدير العبارة «ضربى العبد مسيئاً» يكون ضربى العبد حاصل إن كان مسيئاً؛ فحتميّة ترتب الجزء على الشرط تفهم من هذا الشرط الذي أشرب الكلام رائحته. وكذلك الأمر لدى الطائيّ في بيته، فالشرط المفهوم منه أن ضوءاً من النار واقع إن كانت الظلماء عاكفة و...؛ فلما كان الليل وظلامه واقعين حتماً شاهدين لاندلاع هذه النيران، فانقشاع ظلمة هذا الليل بسبب الضوء الناتج عنهما متحتّم يقينيّ أيضاً، وهذا هو وجه هذا التحتّم الذي تحدثنا عنه في تشابك الليل والنهار، فما يبدو لنا فيه من منظور التوظيف الآياتي للنحو، للدلالة على معنى جديد مستحدث لا يتم إلا بنحو هذا الاستخدام، وهذا هو الذي قلناه، ولا تنصّواً يبلغ منه للدلالة على هذا البعد التصويري!

يقول في القصيدة نفسها:

أبقيت جدّ بنى الإسلام في صعدٍ      والمشرّكين ودار الشرك في صبّ  
(الخطيب التبريزي، ج: ١، ٤٧)

والاستخدام النحوي الذي يعجبني فيه منه هو استخدام في «الظرفية والمجرور بعده حالاً من الجدّ»، وفيه لباقة منه وذكاء، إذ لم يقل: أبقيت جدّ بنى الإسلام صاعداً، أو صاعوداً، بل جعل العظمة والجدّ والتعالى في ظرف الصعود وصبّه فيه، ليقيم بينهما تمازجاً واختلاطاً تاماً في شدة الاتصاف، وفي هذه الظرفية معنى الاستدراج والرقّيّ سلماً بسلم، أى إن هذا الجد لا يكون صاعداً متصفاً بالصعود فحسب، بل إنه يكون إن صحّ التعبير - ممزوجاً بالصعود مصطبغاً بصباغه، آخذاً في التعالي والشموخ شيئاً فشيئاً، فاستخدام في «ههنا يوحى بهذا المزج والخلط الذي يكون بين الظرف والمظروف وعدم انفصالهما عن بعض، وعلى مثل هذا - والله أعلم -



يُؤوّل كثيرٌ من قوله تعالى في استخدام «في» الظرفية بدلاً آية آية أخرى نحوية، منها قوله تعالى في سورة العصر المباركة «حيث يقول: «إن الانسان لفي خسر»؛ أى إن الناس في خسران من تجارتهم إلاّ الصالحين وحدهم (الزمخشري، ٢٠٠٨، ج ٤: ٤٠١)؛ فلم يقل تعالى: إن الانسان خاسرٌ، بل باستخدام أداة الظرفية هذه، جعله محصوراً في دائرة الخسران، لا مفرّله منه ولا محيداً! ووسمه بالغبن و صبَّغه بصبغه ليكون اتصافه بالخسران هذا أعلى رسوخاً في وجوده\_والله أعلم.

٤- مستوى المفردات: (vocabulary)؛ وهو يختصّ بدراسة الكلمات المنفردة وإيحاءاتها و معرفة أصولها وتطوّرها التاريخي و معناها الحاضر وكيفية استعمالها، ويدخل تحت هذا المستوى دراسة المعنى المُعجمي أو القاموسي، وعنوان المستوى المعجمي في هذا الباب أعمّ وأشمل من مستوى المفردات، لأن المعجم يشمل البحث عن معاني المفردات أو الكلمات وتوسّعت الدراسة فيه، فشملت الأمثال والحكم والتراكيب الاصطلاحية والسياقية والمصطلحات العلمية، إلّا أننا نعمد في هذا المجال إلى تحليل الكلمات المنفردة فقط، دون التراكيب التي تشكّل وحدة دلالية ذات معنى يتعلّق بالعلاقة التي تربط بين أجزاء هذا التركيب. وسنبحث عن مدى دلالة المفردات التي توحى بشيء من المعنى والذي لا يفيد نظيراتها، وسنأتى في هذا الممرّ بنماذج من شعره لو عوّض فيها عن كلمة بأخرى، لزال دلالة الجملة المرمي إليها و هدفها المنشود الذي توخّاه الشاعر.

وأما من أمثلة هذا القسم فيمكنني أن آتيكم بالبيت التالي الذي يقوله في جيش المعتصم عندما حلّوا بأرض عمورية وسببوا لها ولأهلها الإصلاح و انقشاع الظلام، وجعلوا أعزة أهلها\_من أهل الروم\_أذلة؛ فيقول فيه:

تصرّح الدهرُ تصرّيح الغمام لها  
عن يوم هيجاء منها طاهرُ جنب

(الخطيب التبريزي، ج ١: ٥٥)

ومعناه: أى تكشّف الدهرُ برزّالها [لعمورية] كما تصرّح الغمام عن يوم طاهر على المسلمين الظافرين، جنب على المظفور بهم المغار عليهم (المرزوقي، ١٩٨٧: ١١٦)؛ وقال أبو العلاء: يعنى «طاهر جنب» أن هذا اليوم كان ما فعل فيه حلاً، لأن الغزو مندوبٌ إليه فهو طاهر من هذا الوجه، و«جنب» لأنهم أخذوا السبي فوطئوه، فاحتاجوا إلى الغسل (الخطيب التبريزي، د. ت: ٥٥)؛ و أمّا في تحليل معنى هذا البيت واللفظتين اللتين وردتا فيه بلافاصل بينهما «طاهر جنب» فيمكن التمسك بماقاله الدكتور منير سلطان بهذا الصدد مضيفاً إليه نكتة أخرى قد تظهر لي محترماً نظرهم جميعاً؛ فيقول الدكتور سلطان: «واعتقد المسألة أبعد من ذلك، فالطهر هنا أى: تطهير عمورية من نجاسة الكفر ولا يتحقّق هذا التطهير إلاّ بخوض

الجنابة المتمثلة في القتل والقصف والأسر والاستيلاء على نساء العدو، فالدماء التي لطّخت جسد المحارب العربي هي خليطٌ من دم الفرسان و دم العذارى، و هي رمز للبطش والقوة الوحشية التي عومل بها هؤلاء الأعداء في أنفسهم، و في ممتلكاتهم، و في حصونهم، و في نسائهم، و ما حدث لنسائهم أشد وطأة على كرامتهم من استلابهم كل ما يملكون. فالمحارب المسلم تمنعه عقيدته وأخلاقه ومبادئه أن يقدم على صنع شيء في السلم، كان يصنعه في الحرب، فكل ما يملكه الآخرون من أنفس وأموال وأعراض محرّم عليه الاقتراب منها، ولكنها تتحوّل في الحرب إلى غنائم و تصير حلالاً طيباً، بل تصير رمزا للنصر، ولذا فصل أبو تمام بين كلمتي «طاهر» و «جنب» و لو وصل بينهما و قال «المحارب المسلم طاهر و جنب» لما استغرقت الطهارة كل حالات الجنابة وبالعكس، ويكون المحارب المسلم قد أقدم على جنابة من دون دافع من طهارة، أي بلا دافع من عقيدة، ويكون قد أتى [في هذه الحال] إنما كبيراً، فطهارة العقيدة تلزمه بأن يكون جنباً فيما يخص العدو، ولا يكون جنباً فيما لا يدخل في إطار ممتلكات الأعداء» (منير سلطان، ٢٠٠٥: ٢٣٨)؛ وكل ما قاله الدكتور سلطان بهذا الصدد أراه صحيحاً مستقيماً، إلا أنني أضفي عليه أن معنى الجنابة - وهي عدم الطهارة في الشرع - قد انعكس مؤداه - فيما عندي - و تحوّل إلى عكس معناه، فتكون الطهارة أيضاً، بمعنى أن الجنابة التي تكون لغيرهم من الأدميين نجاسة و خبثاً، تتحوّل عندهم - و حالتهم هذه في الحرب - إلى أنبل حالات القداسة و الطهر، فهم بخلاف غيرهم طاهرون حتى في حالات جنابتهم، لأن هذه الجنابة قد انحدرت من أصل الطهارة في الدفاع عن عقيدة ونضال مقدس في مسير قضية، فنشأت و بزغت هذه الجنابة من منبت طهر، فلا بد أن تكون هي أيضاً طاهرة متبركة بأصل نبيها، وأرى الطائي قد أراد بهذا المزج والدمج بين الصفتين - من دون حائل بينهما - أن يقول إنهم لا جنابة لهم أصلاً ولا خبث، فهم - خلافاً لمن سواهم من الناس - يحظون بصنفين مختلفين من الطهارة، طهارة يتمتع بها كل ذي طهر، وأخرى تتحول لديهم طهارة، إلا أنها لغيرهم لازالت خبثاً و نجاسة! فأراه من الناحية اللغوية قد أقام مرادفة تامة بين لفظين متضادين وهذا من صنعه هو، إذ أحدث - على ما أرى وأسمي «معاكسة معنوية» لمؤدّي لفظة «الجنب الدلالي، وجعل التضاد الذي بينهما مترادفاً، على نحو ما يمكنني أن أسميه بـ» التضاد المترادفي أو «التضاد المرادف»، وجعل اللفظة بواسطته تتوأكب مع ما قبلها من دلالة الطهر والبراءة، ويقوى تصرفه هذا بمدلول الكلمة أنه قد أزال العطف بين الصفتين كما قال الدكتور سلطان وهي (إزالة العطف) من آليات النحو و إمكانياته، و بهايكون مزج في البيت بين المستويين النحوي والمعجمي، و مؤداها أنهم متصفون في آن واحد بمختلف أنواع الطهارة، وليس أن يكون لهم طهارة حيناً، فتأتيهم الطهارات الأخرى في الأحيان الأخرى، وهذا المعنى إنما يفهم بإزالة هذا العطف بين الصفتين وإصاقهما ببعض لتأدية

ذلك المعنى. وهذا ما هداه إليه المعنى، فتصرّف بمدلول الكلمات وجعله عكساً، وهذه خاصية أخرى للعلامات اللغوية (الكلمات) - كما يقول الدكتور أبو زيد - نابعة من خاصيتها السيمانطيقية، وهي قدرتها على التحوّل على مستوى المدلول لكي يصبح بدوره علامة من نوع آخر تشير إلى مدلول آخر فيما يُعرف بـ«التحوّل الدلالي» في أنماط المجاز المختلفة؛ وهذا التحوّل الدلالي لا يحدث في العلامة اللغوية في حالة أفرادها، ولكنه يتحقق من خلال التركيب الذي يُكسب العلامة [الكلمة] دلالة لا تكون لها في حالة أفرادها. (أبو زيد، ٢٠٠٨: ٨٦ و٨٧)؛ وهذا ما فعله أبو تمام في موقعه هذا في وجه معنى الجناية التعاكسي، وأراه ناجحاً في التصرف الآليّ الوظيفي هذا بمدلول كلمة ما.

ويقول في قصيدة عمورية في تصوير مكان الفتح وجودة أرضه وفضله على سائر

المكان:

حتى إذا مخض الله السنين لها      مخض البخيلة كانت زبدة الحقب

(الديوان، ج ١: ٤٩)

والنكتة اللافتة التي نراها في هذا البيت لغويّاهي أنه قد جاء بلفظة «الحقبة» وقد جمّعها على كثرة فقال «الحقب»، ولم يستعمل اللفظ الذي يكون جمعه على «أحقاب» على قلة وهو «الحُقب» بضمّين، ويكون هو الوارد المستعمل في القرآن الكريم في سورة النبأ المباركة إذ يقول تعالى: ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ {النبأ: ٢٣}؛ ولكن لماذا؟ وما وجه هذا العدول من لفظة معجمية إلى نظيرته التي تتقارب عليها معنى؟ السرفى أن «الحُقب» يكون أقل من الحقبة دلالة زمنية وتوسّعاً في المساحة الزمنية، وذلك لأنه هو الدهر أو السنة أو هو ثمانون سنة و قيل أكثر من ذلك، والحقب في قوله تعالى ﴿أَمْضَى حُقُبًا﴾ [الكهف/٦٠] قيل معناه سنة، وقيل معناه سنين، والحُقب على تفسير ثعلب يكون أقل من ثمانين سنة (ابن منظور، ٢٠٠٥: ٨٨٨)؛ و أما «الحقبة» فهي السنة أيضاً أو هي الفترة من الدهر لا وقت لها (ابن منظور، ٢٠٠٥: ٨٨٨)؛ إذن الطول والإبهام اللذان في «الحقبة» أكثر منهما في «الحقب»، لأنها أجل غير مسمى وأمد غير معلوم بالنسبة إليه، ولهذا فضلها على «حُقب»؛ ثم لم يكتف باستخدام الحقبة فحسب، بل عمد إلى جمعها جمع تكسير بالكثرة، ولهذا أراه في تفضيله «الحقب» على «أحقاب» مُصيباً من ناحيتين: أولاً من ناحية زيادته في الإبهام واختيار الزمن الذي هو غير محدد للدلالة على هذا الإبهام وهو ضارب في اتساع أكثر زمنياً، والثانية في جمعها تلك اللفظة جمع كثرة كما قلنا، فصار الزمان طولاً في إبهام، وهذا - على ما يبدو للباحث - أدل من غيره في تصوير ضبايئة زمان كهذا! فمزية عبارته هذه ضعيفان بالنسبة للاختيار السابق.

النتيجة

انتهى حديثنا في تحليل النماذج ودراستها درساً آلياً - سيميوتيكياً، والنتيجة التي نريد أن ننتهي إليها نُصدر بواسطتها حكماً محدداً غير شامل على ما صنعناه في شعر أبي تمام من دراسة و تحليل و استشفافٍ وظيفيٍّ - آلياً، هي أننا بعد درس بضعة من أبياته في موقفنا هذاو النظرات الأخرى التي تمّ إلقاؤها على شعره - من نفس هذا المنظور - نحوياً و معجمياً و صوتياً و تصريفاً، هدانا إلى أن نقول بشأنه إنه - رغم وجود بعض الساقط و الردى في شعره - إلا أنه في معظم الأبيات التي صنعها و ماضمتها من آليات في البلاغة و النحو و الموسيقى، و التي أُتيح لنا أن ندرسها في هذه المقالة كان ذا نجاح فيها و كان الوعي باستخدام الوظيفيِّ قرينه في كثير من الأحيان، و الدليل الذي نستدل به لصدور هذا الرأي و اعتباره ذاوعى بأنماطه الاستخدامية هو إلمامه الذي رأيناه منه في الأبيات المدروسة في كيفية استعانتها بأدوات اللغة و إمكانياتها الدلالية في مواطن تعبيره المختلفة، بحيث قد اختار في كلِّ موقف - على ما رأينا - الوسيلة النحوية أو الصرفية أو... التي كانت تبدو أقوى عنده من غيرها على تصوير مشهدة الشعريِّ، فرأيناه كيف إنه إذا أراد السعة و الانتشار لسخاء الممدوح و نوى الأريحية و انشراح الصدر فيه، استنصر الكلمة التي تكون لها صفة الرخاوة و التفسى و الانفتاح من باب صفات الحروف الأدائية، وهي كلمة «تهش» لتي تفيدُ بأ حرفها هذه و صفاتها تلك، مدى هذه الأريحية و الانشراح لدى الممدوح في فعل السخاء، و نظيره في لفظتي «الرتكان» و دلالتها على الخفة و الهزة و النشاط في عدو الإبل بتعاقب الفتحاح عليها، و هلمَّ جرافى باقى الأدوات التي استعان بها في هذا المضمار للدلالة على مضامينه الفكرية و خلق صورته الشعرية. و كان هذا الوعي منه ينجلي لنا بوضوح أكثر لو كان المجال أكثر تساعاً و أخذنا أبياتاً أكثر من ديوانه بالدرس الآلياً هكذا. فلم يكن الحكم الذي أصدرناه بشأن شعره عامّاً شاملاً يستوعب جميع أطراف ديوانه و ماعمله فيه من إنتاج شعري، بل الحكم يختصُّ بالأبيات التي تمّ استعراضها في نصّ المقالة، و يمكن لنا الادعاء بأنه يجوز تعميم دائرة البحث في هذه الحوزة الدلالية إلى سائر أجزاء شعره و الحصول على نفس النتيجة التي تمّ التوصل إليها في هذا البحث. و لكننا جئنا في هذا المجال الضيق بهذا القدر الضئيل من أبياته و استعرضناها على محكِّ الدرس الدلالي لتكون النتيجة الحاصلة من ورائها أنه (الطائي) كان هذا خُطته و دأبه في سائر أبيات ديوانه، و المتصفح لأوراق ديوانه يُقرُّ بعد كدّ و جهدٍ دلاليٍّ أنه قد سعى سعيه في سبيل الإنتاج الشعريِّ الدلالي الذي قد حلت فيه الآليات المتوفرة لديه محلها من مدارج الكلام الوظيفية. فهو وإن كان عنده شيء من السهو أو الشرود في بعض محطاته الدلالية، إلا أنه كان - أو أراه على الأقل - ناجحاً و ناجحاً مقبولاً في خُطته الدلالية - الآلياً التي اتخذها للتعبير عن فكرته.

- ١- خرزُ أبيضُ يشبه الدرّ.
  - ٢- الخرقُ وكذا الخرقُ بضمّتين الجهل أو الحمق، أو الدهش من الفرع.
- المصادر و المراجع:
- ١- القرآن الكريم.
  - ٢- الآمدى، الحسين بن بشر بن يحيى. (٢٠٠٦). «الموازنة بين أبي تمام و البحتري»، تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة، دار المعارف، ط: ٥.
  - ٣- ابن الأثير، ضياء الدين. (١٩٩٠). «المثل السائر في أدب الكاتب»، تحقيق: محمد محبى الدين عبد الحميد، بيروت - لبنان، المكتبة العصرية.
  - ٤- ابن جنى، أبو الفتح عثمان. (١٩٨٦) «الخصائص»، تحقيق: محمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
  - ٥- أبو زيد، نصر حامد. (٢٠٠٨). «إشكاليات القراءة وآليات التأويل»، الدار البيضاء - المغرب، المركز الثقافي العربى، ط: ٨.
  - ٦- أنيس، إبراهيم. (١٩٥٨). «من أسرار اللغة»، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط: ٧.
  - ٧- الخطيب التبريزى، أبو زكريا يحيى بن على. (د.ت). «شرح ديوان أبي تمام»، تحقيق: محمد عبده عزام، القاهرة، دار المعارف ، الطبعة الخامسة.
  - ٨- الخطيب القزوينى، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر. (٢٠٠٨). «الإيضاح فى علوم البلاغة»، بتحقيق وتعليق وفهرسة: غريد الشيخ محمد، إيمان الشيخ محمد، بيروت : دار الكتاب العربى.
  - ٩- الرّازى، محمد بن أبى بكر بن عبد القادر، (٢٠٠٦). «مختار الصحاح: اعتنى بها الأستاذ يوسف الشيخ محمد»، بيروت: المكتبة العصرية.
  - ١١- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر. (٢٠٠٨). «الكشاف» ، ضبط و توثيق: أبى عبدالله الدانى بن منير آل زهوى ، بيروت: دار الكتاب العربى.
  - ١٢- الزمخشري. (٢٠٠٢). «أساس البلاغة»، بيروت : دار إحياء التراث العربى، ط: ١.
  - ١٣- سلطان، منير. (٢٠٠٥). «بديع التركيب فى شعر أبى تمام (الجمل والأسلوب)»، منشأة المعارف بالإسكندرية.
  - ١٤- الصولى، أبو بكر محمد بن يحيى. (د.ت). «أخبار أبى تمام»، تحقيق الدكتور: محمد عبده عزام و جماعة، بيروت: المكتب التجارى للطباعة والتوزيع و النشر.
  - ١٥- ضيف، شوقى. (٢٠٠٨). «تاريخ الأدب العربى (العصر العباسى الأول)»، القاهرة: دار المعارف، ط: ١٩.

- ١٦- ضيف، شوقي. (د.ت). «الفن و مذاهبه في الشعر العربي»، القاهرة: دارالمعارف، ط:١٣.
- ١٧- الغلابي، الشيخ مصطفى. (٢٠٠٦). «جامع الدروس العربيّة»، تحقيق و فهرسة: أحمد زهوة، بيروت: دارالكتاب العربي.
- ١٨- عكاشة، محمود. (٢٠٠٥). «التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة»، القاهرة: دارالنشر للجامعات، ط:١.
- ١٩- عمر، احمد مختار. (١٩٩٨). «علم الدلالة»، القاهرة: عالم الكتب، ط:٥.
- ٢٠- الفاخوري، حنا. (١٣٨٠ش). «تاريخ الأدب العربي»، طهران: منشورات توس، ط:٢.
- ٢١- قطب، سيد. (١٩٩٠). «النقد الأدبي؛ أصوله و مناهجه»، بيروت: دارالشروق، الطبعة الشرعيّة السادسة.
- ٢٢- المبرّد، أبو العباس محمّد بن يزيد. (د.ت). «الكامل»، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة، القاهرة: دار نهضة .
- ٢٣- المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمّد بن الحسن. (١٩٨٧). «شرح مشكل أبيات أبي تمام المفردة»، دراسة و تحقيق: الدكتور خلف رشيد نعمان، بيروت: عالم الكتب - مكتبة النهضة العربيّة، ط:١.
- ٢٤- مروّة، محمّد رضا. (١٩٩٠). «أبو تمام (عصره-حياته-شعره)»، بيروت: دارالكتب العلميّة، ط:١.
- ٢٥- مصطفى، ابراهيم وآخرون. (١٩٨٩). «المعجم الوسيط»، استانبول: دارالدعوة.
- ٢٦- ابن المعتز، عبد الله. (١٩٤٥). «البديع»، تحقيق: محمّد عبد المنعم الخفاجي، مصر.
- ٢٧- معروف، يحيى. (١٣٧٨ش). «العروض العربي البسيط»، كرمانشاه: منشورات سمت وجامعة الرّازي، ط:١.
- ٢٨- ابن منظور الإفريقي، أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم. (٢٠٠٥). «لسان العرب»، مراجعة وتدقيق: د. يوسف البقاعي وآخرون، بيروت: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط:١.
- ٢٩- موسى بلدة، السيد محسن. (١٣٦٧ش). «حلية القرآن (المستوى ٢)»، طهران: منشورات مركز منظمة الإعلام الاسلامي للطباعة والنشر، ط:٢.
- ٣٠- نهر، هادي. (٢٠٠٧). «علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي»، الأردن: الهاشمي، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط:١.

## فصلنامه‌ی لسان‌مبین (پژوهش ادب عربی)

(علمی - پژوهشی)

سال سوم، دوره‌ی جدید، شماره‌ی پنجم، پاییز ۱۳۹۰

ابزارهای زبانی اندیشه‌های ابوتمام\*

در پرتو سطوح چهارگانه علم دلالت

دکترحمید رضا میرحاجی  
استادیار دانشگاه علامه طباطبایی  
دکتر جلال مرامی  
استادیار دانشگاه علامه طباطبایی  
مالک عبدی  
دانشجوی دکتری دانشگاه علامه طباطبایی

### چکیده

ابوتمام طائی یکی از شعرای عقل‌گرای دوره‌ی عباسی است که برای بیان محتواهای فکری خویش از ابزارهای زبانی دلالت‌گری سودجسته است که ما در این مقاله برآنیم، میزان توانمندی او را در فهم دلالت‌های متفاوت زبان و قوام یافتگی سخن او را در نحوه‌ی استفاده از این ابزارهای زبانی، در چهار حوزه‌ی: سطوح آوایی زبان، مکانیزم‌های ساختاری و نحوی آن، نظام‌های صرفی و پی‌ساخت کلمات و سطوح واژگانی آن بررسی نماییم، تا بدین واسطه به گوشه‌هایی از شیوه‌ی ابزارگریانه‌ی این شاعراندیشه و در بیان مبانی فکری او پی ببریم؛ و بدانیم چگونه بعنوان مثال وقتی که این شاعر اراده‌ی معنای ابهام و پوشیدگی را در معنای مورد نظر نموده، لفظی را اختیار کرده که به نسبت کلمه‌ی مشابه خود از ابهام و مه‌آلودگی بیشتری در معنای مورد نظر برخوردار بوده، و آن کلمه‌ی «الحقبة» بجای «الحقْب» است، که لفظ اولی طول و نامعلومی بیشتری را در زمان برای شنونده متبلور می‌سازد؛ و نیز آنجا که قصد داشته حرکت سریع و خیزش تند و دَوْرانی شتران را در هنگام گام برداشتن و سلاست در دوندگی را در نزد آنان تصویر کند، واژه‌ی «رَتکان» را اختیار نموده که به اقتضای پیکره‌ی آوایی خود و پی‌ساخت صرفی لفظش - برون فَعْلان - و توالی فِتحات بر سه حرف ابتدایی، معنای نشاط و لرزندگی و اهتزاز را درخیزش آن شتر بخوبی نمایان می‌سازد؛ اینها در حوزه‌ی دلالت‌های صرفی و آوایی زبان، و اما در دیگر حوزه‌های دلالت محور زبان نیز - در نحو و در ساخته‌های صرفی کلمات - در این رساله بدنبال دست یابی به سرخ‌هایی از سبک ابزار بنیان ابوتمام در حوزه‌های چهارگانه‌ی دلالت‌های زبانی خواهیم بود.

واژگان کلیدی

معناشناسی، ابوتمام، شعر عربی، استفاده‌ی ابزار محور، شیوه‌های بیان.

\* - تاریخ دریافت مقاله: ۱۳۹۰/۰۲/۱۸ تاریخ پذیرش نهائی: ۱۳۹۰/۰۶/۲۶

نشانی پست الکترونیکی نویسنده: Mirhaji-sayyed@yahoo.com